

إشكاليات القراءة

أ/ فاطمة

جامعة

الزهران أمغار

الجزائر (2)

Abstract :

Dans ce travail nous proposons une réflexion sur La Lecture, revisiter la notion de lecture pour la porter sur une dimension survalorisant ou lire relève, non d'une attitude naïve de recherche des sens apparents, mais plutôt, d'une attitude consciente et réfléchie. Du lecteur qui doit être actif (rapport du lecteur à l'œuvre.) Cette dimension de la critique des textes (lecture) est fondée sur la notion empruntée à la théorie de la réception, avec ses leaders en particulier Izer.

تمهيد :

لا يخفى على أحد أن موضوع القراءة وإشكالية العلاقة بينها وبين النص القارئ من المواضيع الأكثر حداثة والأكثر تعقيدا في ميادين البحث، ولذلك فقد كانت هناك أبحاث في سيكولوجية القراءة وسوسولوجية القراءة وجماليات التلقي وفلسفات اللغة والفينومينولوجية. فاعتبرت القراءة بمثابة فعل أو ظاهرة نفسية، وجودية، واجتماعية وتاريخية، تعبر عن دينامية معطيات ثقافية ومعرفية للفرد والمجتمع في آن واحد.

ولعل ما يبعث على التأمل في قيمة هذا الفعل- فعل القراءة- هو شعورنا بغفلة طلبتنا عن إدراك الأهمية البالغة لفعل القراءة وما يعكسه من عمق العلاقة بين القارئ والكتاب، باعتباره عملية إبداعية للإثنين. من المفروض أن يعد فعل القراءة أحد أهم الخصائص التي يمتاز بها الطالب الجامعي بالخصوص في تخصص فلسفي، وأساسا من أسس تكوينه المعرفي في واقع التنشئة الاجتماعية.

هو فعل نازل من السماء تكليفا وتشريفا (اقرأ) له. عرفه أسلافه: قرؤوا وأبدعوا: ناقلين لمختلف المعارف والعلوم صانطين، كما أبدعوا منتجين وناقدين للمعرفة. فارتبطت عندهم مقولة أنا أفكر أنا موجود بمقولة أنا أقرأ إذن أنا موجود. ولعل آثارهم في مختلف الميادين المعرفة أحسن دليل على قراءتهم لتراث غيرهم من الأمم. قراءة منفتحة، أدركوا فيها الأهمية البالغة لفعل القراءة قبل أن تفتح عليه أوروبا بعد ذلك بقرون عدة.

(orthoépie) ويتحدد هذا المستوى بوصفه أيضاً فعل التتبع البصري لما هو مكتوب لمعرفة مضامينه ومحتوياته.

جاء في معجم الوسيط ولسان العرب مصطلح القراءة، هو من فعل قرأ، ويقال قرأ القرآن ويقرؤه قرأ وقراءة وقرآن فهو مقروء. ويسمى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم كتاباً وقرآناً وفرقانا ومعنى القرآن معنى الجمع، لأنه يجمع السور فيضمها.⁴ منه قوله تعالى: " **إن علينا جمعه و قرأه** " * أي جمعه وقرأته. وقرأت الشيء قرآنا جمعته وضممت بعضه إلى بعضه. ورجل قارئ من قوم قراء وقرأة وقارئين⁵ ب/في الاصطلاح:

شغل مصطلح القراءة حيزاً كبيراً في الدراسات النقدية المعاصرة، حيث تناوله الدارسون من زوايا مختلفة بحسب التوجهات والمرجعيات الأدبية، مما أدى إلى اختلاف الرؤى حول تحديد مفهومه، كما أضفى على الموضوع صبغة إشكالية تزداد اتساعاً كلما تعمقنا أكثر في تفاصيله. فما القراءة؟ وكيف برزت باعتبارها مفهوماً ضمن ما يسمى بنظرية التلقي؟

لم تعد القراءة في الأدبيات المعاصرة فعلاً بصرياً بسيطاً، الذي يكتفي فيه القارئ بتمرير بصره على سطور النص، و تدليل صعوباته المعجمية ولا هي بالقراءة السلبية، التي تعتقد أن معنى النص قد صيغ نهائياً، إن القراءة في الخطاب النقدي الحديث، هي على خلاف ذلك، إنها "أشبه ما تكون بقراءة الفلاسفة للوجود، إنها فعل خلاق" يقرب الرمز من الرمز ويضم العلامة إلى العلامة، وسيرٌ في دروبٍ ملتوية من الدلالات، نصادفها حيناً، ونتوهمها حيناً، فنختلقها اختلاقاً، إن القارئ وهو يقرأ، يخترع ويختلق ويتجاوز ذاته نفسها مثلما يتجاوز المكتوب أمامه⁶.

ويعرف أيزر * القراءة بأنها عملية جدلية تبادلية مستمرة ذات اتجاهين: من القارئ إلى النص ومن النص إلى القارئ، فالقارئ ليس مستهلكاً للنص فقط بل منتجاً له أيضاً Le lecteur est aussi auteur du texte ; la lecture est création لمعاني يعني تسميتها، والتسمية تأخذ نحو أسماء أخرى، فالأسماء الأخرى يحفر بعضها البعض ويقرب بعضها من البعض⁷.

حيث يقول بارت لا يوجد نص قبل عملية القراءة، فالنص يولد حينما يقرؤه الآخر أي القارئ. فالنص فراغ بعض فوق بعض والقارئ هو الذي يملأ هذا الفراغ إنه هو الذي يقيمه، ينشئه وينتجه⁸.

⁴مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، ط 4، دت، ص 244. * القرآن ، سورة القيامة ، آية "17-

أبو الفضل بن منظور: لسان العرب، مادة قرأ تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، القاهرة دار المعارف، دت، ص- 3153

علي حرب، قراءة ما لم يقرأ، نقد القراءة في: مجلة الفكر العربي المعاصر مركز الإنماء العربي، بيروت العدد 6- 60/61 جانفي-فيفري 1989 ص 41

أيزر * wolf gang Ize أستاذ اللغة الإنجليزية، و الأدب المقارن 1926- 2007 7

Wolfgang ISER, L'Acte de lecture, trad Evelyne sznycer. ed, P Mardaga, 1976, p.

إنّ أهم شيء في عملية القراءة هي تلك المشاركة الفعالة بين النص الذي ألفه المبدع والقارئ المتلقي الذي يخرج النص من حالته المجردة إلى حالته الملموسة، باستيعابه وفهمه وتأويله، وحتى يتم التفاعل يتخذ أيزر مجموعة من الأدوات الإجرائية يبين من خلالها كيفية توجيه القارئ أثناء بناء المعنى، ويدعمها بتصوير فينومينولوجي لسيرورة القراءة، يكشف من خلالها كيفية تجلّي الموضوع في وعي القارئ. حيث تأخذ سلسلة تأثيرات النص وردود أفعال القارئ عملية التفاعل والتداخل بينهما سمة ملموسة⁹، وأهم هذه الإجراءات مفهومه القارئ الضمني الذي سنذكره فيما بعد.

إنّ القراءة من خلال المفهوم السابق تجمع بين المتلقي، و الذي يمثل القارئ، والنص الذي يتمثل في الرسالة، وبالتالي فإن هذه العملية- القراءة- لا تقوم على عنصر دون الآخر اتحاد كليهما، فتتداخل تجربة القارئ الشخصية، وتجربة النص لتؤسس لعملية القراءة، اتحاد هاذين العنصرين هو تحقيق بحد ذاته لعملية القراءة ومنه فإن " القراءة فن يخضع لموهبة الفرد وتجاربه"¹⁰. إنّ القراءة تختلف في الزمان والمكان حسب طبيعة القراء ونوعيتهم، لذلك يرى أمبرتو إيكو المفكر الإيطالي أن هناك أنماطا من القراءة والقراء، حيث أشار إلى هذه المسألة في كتابه الشهير "العمل المفتوح" الذي لا يقف فيه على بنية النصوص الفنية بقدر ما يهتم المتلقي، ويذكره في مبحث البوتيقا العمل المفتوح، وكذلك في كتابه " القارئ في الحكاية" حصّص فيه فصلا كاملاً لأنواع النصوص والقراءات (منفتحة منغلقة)¹¹.

2-تصنيف القراء:

إن الاهتمام بالقارئ أو المتلقي لم يظهر إلا بعد مرحلة البنيوية والسيميائيات التي ركزت كثيرا على النص بشكل من الأشكال، وأقصت بشكل كلي مفهوم المؤلف والمرجع والسياق والإحالة. وكان التركيز على النص باعتباره مجموعة من البنيات الداخلية المغلقة. بيد أن النص في منظور السيميائيات أخذ حيزاً كبيراً من الاهتمام على حساب القارئ الذي اهتم به رولان بارت، وتودوروف، وأمبرتو إيكو، ومن ثم فقد جاءت نظريات القراءة في مرحلة (مابعدالحدثة: 1960-1980م) Postmodernisme لتعيد الاعتبار للمتلقي، بعد أن تسيد المؤلف زمنا طويلاً¹² فكان من الطبيعي بدورنا أن نتساءل من هو القارئ؟ ما هي أنواعه ومؤهلاته؟ ومتى نهتم به؟

لم يبرز دور القارئ إلا مع نظريات (مابعد الحدثة) وتطور النظريات الحديثة كالتأويلية، والفينومينولوجيا، والتداوليات، والنقد الثقافي، والنقد النسائي، والتاريخية الجديدة... كعنصر فعال في تناول النص وعملية التحليل والتأويل والإدراك والنقد والسرد والقص، وقد أسست مدرسة كونستانس Ecole de Constance -جنوب ألماني- بشكل فعلي لما يسمى بنظرية القارئ واعتبرته مرتكزا لها في العملية النقدية وصرفت النظر عن المؤلف وركزت بصفة خاصة على كيفية تفاعل النص مع قرائه الممكنين وعلى التأثير الذي يمارسه عليهم، ومن أبرز ممثليها يابوس و إيزر.

10 Ibid, p 199.

11 أمبرتو إيكو، القارئ في الحكاية، الغاضد التأويلي في النصوص الحكائية، ترجمة: أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي، 1996، ص ص 61-85.

عبد الكريم شوقي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، الجزائر منشورات الاختلاف 2007، ص 148 12

يتعدد أنواع القراء ومستوياتهم وكل حسب القراءة التي يعتمدها، وبالرجوع إلى الأساس المعتمد عليه في تصنيف القراء وجبت الإشارة إلى اختلاف حاصل في طرائق التفكير وفي إيديولوجية كل مفكر وناقد¹³، علماً أنّ بعض الدراسات تشير إلى وجود ملامح المتلقي في الدراسات القديمة الغربية منها والعربية. وقد ربط أرسطو مفهوم التلقي بفكرة التطهير التي تعني الانفعال الذي يحرر النفس من المشاعر الضارة وذلك في تناوله لمسألة فن الشعر وعلم البلاغة، وبذلك اهتم بعلاقة النص بالجمهور تحقيقاً وإدراكاً لجماليات النص. لكن الاهتمام الفعلي يعود بالأساس إلى المدرسة الألمانية كما سبق ذكره.

تصنف النظريات القراءة جنس القراء إلى عدة أصناف حيث يمكن الحديث عن:
-القارئ الأعلى:

ويمثل عند ريفاتير مجموعة من المخبرين الذين يلتقون عند النقط المحورية في النصب وبالتالي يؤسسون وجود واقع أسلوبى من خلال ردود أفعالهم المشتركة، والقارئ الأعلى مصطلح جمعي لقراء متباينين لهم كفاءات مختلفة مثل أداة الاستطلاع التي تستعمل لاكتشاف كثافة المعنى الكامن المستتر في النص، والتي تسمح بالإمساك بالمعنى؛ وبالتالي فالقارئ هنا يضم مجموعة من القراء لهم كفاءات متباينة.¹⁴

-القارئ المعاصر (lecteur contemporain):

يتجسد دور هذا القارئ في إصدار الأحكام النقدية على الآثار الأدبية في حقبة زمنية معينة، وأحكامه تعبر عن ذوق المجتمع الذي يعيش فيه، وبالتالي فهو يعيش في فترة ما من فترات التاريخ، ثم تظهر أحكامه منطبعة بأذواق الجمهور الذي يعيش معه، وهذا النمط من القراء لا يقدم خدمة كبيرة كأساس لنظرية التأثير بقدر ما يصنف في اهتمامات تاريخ التلقي.¹⁵

-القارئ المقصود (lecteur visé):

يذكر عبد الكريم شرفي في كتابه المعتمد في فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة أن هذا المصطلح جاء به أرفين فولف حيث حاول إعادة بناء صورة القارئ الذي تخيله المؤلف وقصد التوجه إليه.

-القارئ الواقعي (lecteur réel):

في نظر إيزر هو القارئ الذي يستقبل صوراً ترتسم في ذهنه أثناء عملية القراءة ومن خلالها تظهر لنا المعايير المستمدة من ذوق مجتمعه.¹⁶

-القارئ الضمني (lecteur implicite):

إنّ القارئ الضمني قارئ وهمي متخيل يحل محل القراء التجريبيين كونه في اعتقاد إيزر قادر على تجسيد كل الميول اللازمة لأي نص لكي يمارس تأثيره، وهي ميول مسبقة لم يفرضها واقع تجريبي خارجي، بل يفرضها النص عليه؛ وبالتالي فالميولات يحدثها

المرجع نفسه، ص 149 13

14 محمد سعدون، جماليات التلقي ومفهومها ومرجعياتها الفلسفية، الجزائر منشورات المخبر، ع 14، سنة 2013، ص 24

15 عبد الكريم شوقي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، الجزائر منشورات الاختلاف، 2007، ص 188

النص بحد ذاته، وليست المؤثرات الخارجية والواقع، ومفهوم هذا القارئ مستمد من مفاهيم سابقة خاصة الوجودية لسارتر في فكرة الجمهور. هو قارئ مثالي لا يمكن مقارنته بالقارئ الواقعي، ولا وجود له بل يخلق ساعة القراءة.¹⁷

إن فعل القراءة لم يعد عملية بسيطة بل فعلا يجب أن يأخذ بعين الاعتبار مجموع العناصر حتى وإن استحال على قارئ واحد أن يستوعبها كلها وعلى هذا فإن فعل القراءة هو تفاعل بين أهلية القارئ (معرفة الكون الذي يتحرك داخله القارئ) وبين الأهلية التي يستدعيها النص لكي يقرأ قراءة اقتصادية على حد تعبير أمبرتو إيكو.¹⁸

3- شروط التفكي:

اشتراطت نظريات القراءة في المتلقي مجموعة من الخبرات كأن يمتلك القارئ الخبرة العادية واللسانية والمعجمية، والإيديولوجية، والخبرة التواصلية والمنطقية والمعرفية والأخلاقية والتاريخية والثقافية والنفسية، والخبرة الافتراضية. كما حددت مجموعة من الآليات التي تعتمد عليها كالمسافة الجمالية وأفق الانتظار وملئ الفراغات النص والتواصل، والتأويل وإشباع الرغبة ومتعة القراءة. من ثم يمكن القول أن عملية القراءة تخضع لمنهجية قائمة على الإدراك والفهم الداخلي للنص والتأويل.

4- القراءة والنسق:

في إطار النسق الفلسفي هناك أسئلة جوهرية يجب طرحها لمعرفة طبيعة العلاقة بين القراءة والنسق. من هذه الأسئلة: هل النسق شرط ضروري للقراءة؟ أم أنه يكتسب طابعا أنطولوجيا؟ كيف نقرأ نصا فلسفيا؟ كيف يتلقى القارئ القديم النص؟ كيف يتلقاها القارئ المعاصر؟ وهل مستويات ودرجات الاستجابة واحدة؟ أول ما يجب القيام به هو الوقوف عند مفهوم النسق كما وقفنا على مفهوم القراءة. فما هو النسق؟

أ/ مفهوم النسق:

يترجم الباحثون العرب مصطلح نسق ب *Systeme* لكن يطلق عليه البعض الآخر لفظة "مذهب" منهم جميل صليبا مع تعريف له بأنه "مجموعة من الآراء والنظريات الفلسفية ارتبطت بعضها ببعض ارتباطا منطقيًا حتى صارت ذات وحدة عضوية منسقة و متماسكة وهو أعم من النظرية".¹⁹

ونجده في الموسوعة الفلسفية العربية بمفهوم المذهب، فكلمة مذهب لها معنى خاص في فلسفة النسق، ويمكن تحديده على أنه "مجموعة من نظريات متشابكة متكاملة تؤلف كلا عضويا يفسر بعض أجزائها البعض الآخر".²⁰

وفي الموسوعة الفلسفية الروسية عرف النسق بأنه لفظة يونانية تعني الكل المركب من الأجزاء²¹، أما موسوعة لالاند تذكر أن مصطلح النسق يقال بمعنيين عام وخاص. فالنسق العام هو "جملة عناصر مادية أو غير مادية يتعلق بالتبادل بعضها ببعض بحيث

17Acte de lecture , op cite .p31

18 أمبرتو إيكو، التأويل بين السيميانيات والتفكيكية، ترجمة وتحقيق سعيد بنكرود، ط2 لبنان المغرب المركز الثقافي العربي 2004 ص 86

19 فريديريك نيتشه، الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي، ترجمة: سهيل القش، ط2 بيروت: المؤسسة لجامعة للدراسات والنشر و التوزيع 1983، ص 41

أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، ط6 (القاهرة: دار غريب)، 1999، ص 3 20
أندريه لالاند، الموسوعة الفلسفية، ترجمة: خليل احمد خليل، (بيروت: منشورات عويدات)، 1996، ج 3 21

تشكّل كلا عضوياً مثل: النظام المدرسي، والجهاز العصبي. أمّا بمعناه الخاصّ، فهو "مجموعة من أفكار علمية أو فلسفية مترابطة منطقياً من حيث تماسكها لا من حيث حقيقتها".

يميّز لالاند بين مصطلح النسق Systeme و مصطلح المذهب Doctrine لأنّ النسق بناء فكري مركب من وحدات معرفية (فروض، تصورات، مفاهيم، نظريات تشكّل إطاراً تصورياً مترابطاً و متماسكاً منطقياً في إطار منهج يهدف إلى الإحاطة بالوجود بأسره. بمعنى أن النسق موقف فكري أو رؤية خاصة إزاء العالم يهدف إلى الإحاطة بالموجودات و تصنيفها وترتيبها.

ويذكر بعض المفكرين أن اليونان بالخصوص أفلاطون وأرسطو هما أول من ابتكر الأنساق الكبرى للتفكير الفلسفي²²، والأنساق تدور حول مفهوم رئيسي واحد يعد مقولة مركزية مثل فكرة "المثال" عند أفلاطون والوجود عند أرسطو والكوجيتو عند ديكارت والمطلق عند هيجل إلخ.

ومن خصائص النسق الفلسفي الكلية والشمول، الترابط والانسجام، والأصالة والإبداع. ونفهم من هذه التعاريف أنّه لا يوجد تعريف جامع مانع لكن المشترك بينها أنّه جملة من العناصر العقلية أو البنية الصورية المتماسكة التي تتفصل عن مضمون النص.

ب/ أول نموذج للنسقية الفلسفية:

نحاول أن نسوق نموذجاً من الفكر الفلسفي حتى نلمس مفهوم النسق من خلال ما نقرأه عن الفلاسفة وعلى رأسهم أفلاطون، حيث لا تمرّ علينا وحدة من الوحدات المقرّرة في الفلسفة أو موضوع من المواضيع إلا واستحضرناه، فهو من قدم تصوّراً فلسفياً عقلياً مجرداً وميتافيزيقياً، في شكل نسق متكامل وجوداً ومعرفة وقيماً. وإن كان هذا النسق المتكامل عبارة عن تصور مثالي، لأنه أعطى الأولوية للفكر والعقل والمثال، كما يتجلّى ذلك واضحاً وجلياً في محاوراته، بينما المحسوس لا وجود له في فلسفته المفارقة لكل ما هو نسبي وغير حقيقي. ومن ثم، يعد أفلاطون أول من تمثّل الكتابة النسقية في مؤلفاته وأبحاثه الفلسفية، بل كان سباقاً في الفلسفة اليونانية بصفة خاصّة، والفلسفة الغربيّة بصفة عامّة إلى بناء أول صرح نسقيّ فلسفيّ متكامل وشامل، يضم تصورات متماسكة حول الوجود والمعرفة والقيم، بعد أن تخطى المرحلة السقراطية القائمة على المنهج الحوارية التوليدي من جهة، والكتابة المبنية على التساؤل، والسخرية والتهمك.²³

ومن هنا، فقد قسم أفلاطون العالم الأنطولوجي، ضمن تصوره النسقي، إلى قسمين: العالم المثالي والعالم المادي، فالعالم المادي هو عالم متغير ونسبي ومحسوس. وقد استشهد بأسطورة الكهف ليبين أن العالم الذي يعيش فيه الإنسان هو عالم زائفٌ ووهمي ونسبي ومتغير، وأن العالم الحقيقي هو عالم المثل الذي يوجد فوقه الخير الأسمى الذي يمكن إدراكه عن طريق التأمل العقلي، والتفلسف المستمر. فالطولة التي نعرفها في عالمنا المحسوس غير حقيقية. في حين، توجد الطاولة الحقيقية في العالم المثالي

²²فريدريك نيتشه، الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي ترجمة سهيل القش، ط2، (بيروت: المؤسسة لجامعية للدراسات والنشر والتوزيع)، 1983، ص 41

أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس، ط6، القاهرة: دار غريب، 1999، ص 3 23

وتوجد المعرفة الحقيقية في عالم المثل الذي يحتوي على حقائق مطلقة ويقينية وكلية، أما معرفة العالم المادي، فهي نسبية تقريبية وجزئية وسطحية، كما تدرك المعرفة في عالم المثل عبر التفلسف العقلاني. ومن هنا، فالمعرفة - حسب أفلاطون- تذكر، والجهل نسيان. ويعني هذا أننا كلما ابتعدنا عن العالم المثالي إلاّ وأصابنا الجهل، لذا، فالمعرفة الحقيقية أساسها إدراك عالم المثل، وتمثل مبادئه المطلقة الكونية التي تتعالى عن الزمان والمكان. ومن ثم، فأصل المعرفة هو العقل، وليس التجربة، أو ذلك الواقع المادي الحسي الذي يحاكي عالم المثل محاكاة مزيفة ومشوّهة.

وعلى مستوى الأكسيولوجيا، فجميع القيم الأخلاقية، من خير، وجمال، وعدالة، ربطها بمسألة النفس ومراتبها، وهي قيم نسبية في عالمنا المادي، ومطلقة حقيقية في عالم المثل المطلق والأزلي. وعليه، فالكتابة النسقية عند أفلاطون كتابة بنوية متكاملة وشاملة، تحوي مجموعة من العناصر التي تتضافر فيما بينها من أجل بناء تصوّر معرفي موضوعي، يقوم على المعرفة والبرهان والاشتغال العقلي. وبالتالي، يتميز هذا النسق بالانغلاق والتناهي والاتساق والانسجام. مستوفي لعناصره الجزئية، ضمن كلية تصوّرية شاملة وجامعة ومائعة، خالية من التناقض على مستوى طرح الأفكار ومناقشتها.

وتتأسس الكتابة النسقية على العقل واللغة والطبيعة والجوهر والموضوع، والاهتمام بالرياضيات والهندسة والمنطق والجدل والفيزياء، والبحث عن الحقيقة المطلقة والمعرفة اليقينية، والتعبير عن الرؤية الفلسفية المتكاملة الموحدة، ضمن تصور كلي شامل منسجم، منطقي، غير متناقض الفكري²⁴.

ج/القراءة الفلسفية النسقية:

يتحدد نوع القراءة النسقية بنشاط وعلاقة القارئ بنصه الفلسفي، ومن هذه القراءات :
-قراءة تفسيرية منغلقة: تقوم هذه القراءة على عدم الفصل بين النص الفلسفي وصاحبه، ملتزمة بمعطيات النص الفلسفي بهدف إبراز " قصد" الفيلسوف، والعمل على تفسير الملتبس والغامض في النسق لإبراز اتساقه وتكامله وانسجامه وربطه بالمفهوم الرئيسي الذي يضبط النسق الفلسفي العام.

يلجأ إلى مثل هذه القراءة الشراح والأتباع والتلاميذ²⁵ فالشارح هو الذي يعمل على الربط بين أفكار الفيلسوف عبر منهج يكتشفه هو، وتكاد تكون القراءة خالية من عملية النقد. وفهم قصد الفيلسوف أمر نسبي، لاختلاف أساليب الكتابة التي يبرز بها الفلاسفة مقاصدهم، وقد نشأ عبر اهتمام المفكرين والباحثين الغربيين بمصادر الفلسفة اليونانية عامة نمط من الأدب الفلسفي متولد من القراءة الشارحة حيث لكل فيلسوف تابع وشارح.

ولما كانت للفيلسوفين اليونانيين أفلاطون وأرسطو سلطة معرفية فلسفية فقد فرضت نصوصهما الفلسفية نفسها على الباحثين وقرئت قراءات شارحة مختلفة ومن أبرز القراءات الشارحة على أرسطو مثلاً تلك التي قدمها تلميذه الفيلسوف المشائي "ثيوفروستس" (371-287ق.م)، وكذلك المعلم الثاني الفارابي، وقد تحولت القراءة الشارحة إلى تقليد له قواعده وأصوله.

- القراءة المنفتحة :

24 وولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد ط 2 لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات 2005، ص ص 131-163

25 André Pouyane philosophie, Espagne .edition Magnard 1995.P3739.

تسمى قراءة منفتحة والبعض يصطلح عليها بالقراءة التأويلية، وتعتبر هذه القراءة نوعاً من الحوار المنتج بين القارئ والنص الفلسفي، على اعتبار أن النص الفلسفي لا يأتي كاملاً من مؤلفه بل القراءة هي التي تمنحه المعنى والانسجام على حد تعبير بول ريكور وغادامير، فالقارئ يهدف إلى فهم المؤلف أفضل مما فهم نفسه بتنظيم النص والتحليل والنقد و التأويل، فهي قراءة كاشفة لمعنى خفي²⁶.

تسمح القراءة المنفتحة بإنتاج نص فلسفي جديد والتأويلات تختلف من قارئ إلى آخر ومن زمن إلى آخر، كما تنفي إمكانية قراءة صحيحة أو قريبة من النص، ذلك أن مستويات القراءة تتنوع سعة وعمقا من قارئ لأخر تبعا لسياقه الفكري والثقافي وتجربته الذاتية. ومنه القراءة التأويلية هي قراءة نسبية ومحتملة، فكل قراءة مرشحة للتجاوز والتغير تبعا لتغير التاريخ والثقافة والأفكار والقيم والتجارب، وما تاريخ الفكر الفلسفي إلا سلسلة غير متناهية لهذه القراءات المفتوحة بداية بقراءة أفلاطون للفيتاغورية التي أوصلته إلى نظرية المحاكاة، أو أرسطو بخصوص المثل فتأول المثل منطقيا وفلسفيا وأخلاقيا وسياسيا... كذلك الفارابي متجاوزا بقراءته آراء كل من أفلاطون وأرسطو .

مهما يكن القراءة ليست عملية بسيطة كما سبق وأن ذكرنا بل هي عملية مركبة تتدخل فيها عوامل منها النص والقارئ والمنهج والفضاء الفكري للقارئ. والقارئ بدوره حامل لخبرات واهتمامات معرفية خاصة ومرجعيات فكرية، فإما يبقى أثناء القراءة في الإطار العام للنص الفلسفي محاولا فهم مقاصد الفيلسوف وشرحها أو أن يتجاوزها فيقدم قراءة فلسفية نقدية خاصة به يلغي فيها دور المؤلف²⁷، والذي يقوم بالقراءة المفتوحة ليس أي قارئ بل القارئ النموذج أو القارئ الناقد الذي يستنتج مقاصد جديدة.

خاتمة:

حينما أردنا الحديث عن القراءة فليست هناك في الحقيقة قراءة واحدة أو نظرية قرآنية واحدة بـ_____ نظريات وقرارات

متد

و

عة ومختلفة، وهذه النظريات يمارسها ناقد فيلسوف أو طالب باحث مثل طالب قسم الفلسفة، والحقيقة أن النظرية الحقيقية التي اهتمت بالمتلقي باعتباره طرفاً في العملية الإبداعية هي نظرية جماليات التلقي كما عند إيزر ويوس والسيميائية كما عند ريكور. وقد مهّدت الفينومينولوجيا الساحة النقدية لمثل هذه النظريات منها بالخصوص التلقي، حيث قادت بصورة طبيعية إلى الاهتمام باستجابة القارئ، ويتمثل ذلك في أعمال إيزر الذي لم يكتفي بالنص بل أخذ بعين الاعتبار الأفعال التي تدخل ضمن الاستجابة. ويخلص إيزر إلى أن العمل الفني ذو قطبين: قطب فني (النص الذي أبدعه المؤلف)، وقطب جمالي (التحقيق الذي أنجزه القارئ).

26 بول ريكور، نظرية التأويل الخطاب و فائض المعنى، ترجمة: سعيح الغانمي، ط2 المغرب المركز الثقافي العربي 2006، ص 61

يركز إيزر في عملية القراءة على مسألة ضم الفجوات التي توجد في العمل الأدبي، والتي يجب على القارئ أن يملأها، وهذا يثير تفاعلاً بينه وبين النص، وصورة هذا القارئ تتمثل في القارئ الضمني بحيث تنشط هذه العملية (تأثير وتأثر) ملكة الربط عند القارئ حتى يتمكن من أن ينغمس في العملية الإبداعية للنص، ومنه إنشاء قراءات مختلفة باختلاف الأفراد ومؤهلاتهم من جهة، واختلاف الأزمنة من جهة أخرى، فتكون بذلك القراءة المفتوحة أرحب من الكتابة، وهذا النوع من القراءة الذي يركز على المخزون الثقافي لكل قارئ يجعل من القراءة عملية مستمرة وسيروية لإنتاج المعنى والفهم. جعلت مدرسة كونستانس الألمانية للقراءة علم جمال خاص دعتة "جماليات التلقي" ودعاها الباحثون الأمريكيان نقد "استجابة القارئ"، مما يبين أهمية فعل بل عملية القراءة في المجتمعات الغربية المعاصرة، ولعلنا نعود بقراءتنا لمثل هذه الأعمال والمدارس إلى أصولنا وقراءتها قراءة منفتحة والبدء بإعادة فعل القراءة إلى المنزلة التي كان عليها في المجتمع الإسلامي الأول. لم يعد فعل القراءة ينظر إليه كفعل تلقائي بل هو موقف فاعل تجاه النص تتداخل فيه وفي تنظيره عوامل عدة.

قائمة المراجع :

1-باللغة العربية:

-القرآن الكريم

-أمبرتو إيكو، التاويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة وتحقيق: سعيد بنكرد، ط 2 لبنان المغرب المركز الثقافي العربي 2004.

-أميرة حلمي مطر، الفلسفة السياسية من أفلاطون إلى ماركس. ط 6 القاهرة دار غريب، 1999.

-علي حرب، قراءة ما لم يقرأ، نقد القراءة، مجلة الفكر العربي المعاصر مركز الإنماء العربي، بيروت العدد 60/61 جانفي-فيفري 1989.

-فريدة زمرد، أزمة النص في مفهوم النص عند نصر حامد أبو زيد، المغرب مط أنفوبرنت، 2005.

-بول ريكور، نظرية التاويل الخطاب وفائض المعنى، ترجمة: سعيح الغانمي، ط 2 المغرب المركز الثقافي العربي، 2006

-ولتر ستيس، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، ط 2 لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات، 2005.

-محمد سعدون، جماليات التلقي ومفهومها ومرجعياتها الفلسفية، الجزائر منشورات المخبر، ع 14، 2013

-عبد الكريم شوقي، من فلسفات التاويل إلى نظريات القراءة، الجزائر منشورات الاختلاف، 2007.

-أبو نصر الفارابي، كتاب الجمع بين رأي الحكمين، ترجمة وتحقق: علي بوملحم، دار مكتبة الهلال، 1996.

-فريدريك نيتشه، الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي، ترجمة: سهيل القش، ط 2 بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر و التوزيع، 1983.

2-باللغة الأجنبية:

- Umberto Eco. **L'oeuvre ouverte**.trad: Chantal roux de Bézieux .ed seuil 1965.
- Wolfgang Iser, **L'Acte de lecture**, trad: Evelyne sznycer. ed, P Mardaga, 1976.
- R.Galisson et D. Coste, **dictionnaire de didactique des langues**. Hachettes librairie 1976 .
- Robine Nicol e . la lecture ,in Robert Escarpit ;**le littéraire et le sociale**, champs Flammarion 1970.
- André Pouyanne **philosophie**, Espagne .edition Magnard 1995.

3-الموسوعات:

- مجمع اللغة العربية، **مجمع اللغة العربية**، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، ط 4، دت .
- أبو الفضل بن منظور، **لسان العرب**، مادة قرأ تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، القاهرة دار المعارف .
- أندريه لالاند، **الموسوعة الفلسفية**، ترجمة: خليل أحمد خليل، بيروت: منشورات عويدات، ج 3.